**دراسة حالة 42**

**الفن الطقسي والأدائي لطائفة الهجري ذات الهوية الجنسية الملتبسة**[[1]](#footnote-1)

تعرض هذه الحالة عنصراً من التراث الثقافي غير المادي يمثل تعبيراً فنياً تؤديه طائفة مهمشة ذات هوية جنسية ملتبسة إذ لا تُحسب على الذكورة ولا على الأنوثة ولا تتطابق مع أي من الجنسين. وعلى ذلك لا يحظى أفرادها بقبول تام لدى الناس ولكنها حازت في سياق ممارستها لفنها على وضع مقبول في المجتمع وعلى إمكانية كسب لقمة العيش. وتتألف هذه الطائفة من أشخاص يصنفون كبين بين، أي لا هم بالرجال ولا هم بالنساء، وإن كان جلهم في الأصل من الرجال الذين خضعوا لطقوس تحويل الهوية الجنسية لصالح الأنوثة فقطعوا مع الذكورة ولم يصبحوا إناثاً حقاً، ومنهم عدد قليل من الذكور الذين كانوا خناثاً بالولادة، لذا قُدِّر لهؤلاء جميعاً أن يكونوا طائفة مهمشة في الهند. ولكنها في المقابل طائفة ضاربة في القدم تكفلها الأساطير والطقوس والفنون الهندوسية وتتمتع بمكانة اجتماعية خاصة توازن بها حالة التهميش. وتمثل عملية تحويل الهوية الجنسية (التي يتم فيها إزالة كل أو جزء من الأعضاء التناسلية للذكر) طقس الترسيم الأساسي في حياة الطائفة والمعيار المحدد لهويتها. وفي هذا الطقس، وبعد تلقي بركات الإلهة الأم في الأساطير الهندية، يقوم بإجراء عملية تحويل الهوية الجنسية أحد أعضاء الطائفة الذي يُطلق عليه اسم "القابلة". وبعد إجراء العملية، يخضع العضو الجديد في الطائفة لنظام غذائي خاص ويُعزل عن الآخرين على نحو ما تخضع له المرأة من طقوس بعد الولادة. وبعد فترة 40 يوماً من العزلة، يُكسى هذا الرجل/المرأة زي العروس ويُقاد/تُقاد في موكب يتجه نحو جسم مائي حيث تُجرى طقوس ترمز للخصوبة والزواج والولادة وبختامها تكتمل طقوس الترسيم والانتماء لهذه الطائفة وبها يصبح هذا الشخص عضواً كامل العضوية فيها. وفي هذا الوقت يكون هذا الشخص قد تلبست فيه قوة وقدرات الإلهة الأم بعد أن أكمل عملية التحول من ذكر عاجز إلى "امرأة" قادرة وعابرة للجنس.

وأحد الجوانب المهمة لهذه التقاليد الثقافية وما يصاحبها من فن أدائي هو أن قوة "الخنثى"، أي الشخص الثنائي الجنس، تُعتبر من الموضوعات المشتركة والمهمة في التقاليد الدينية. فمن أكثر المظاهر شعبية لتجلي أحد الآلهة الكبرى في الديانة الهندوسية هو تصويره على شكل نصف ذكر ونصف أنثى يرمز إلى اتحاد هذا الإله مع القوة الخلاقة لامرأته. كما نجد في إحدى القصائد الملحمية أن أحد الشخوص الرئيسيين يعيش لمدة سنة كخصي، ونرى في ملحمة أخرى أن أفراد الطائفة العابرة للجنس أظهروا تفانيهم وإخلاصهم للبطل الرئيس خلال مدة نفيه البالغة 14 سنة إلى درجة أن هذا أعطاهم امتياز منح البركة للناس أثناء المناسبات الميمونة. وهذا هو أصل المورد الذي تستقي منه هذه الطائفة العابرة للجنس تقاليدها وشرعيتها وتستمد منه فنها الأدائي، حيث يغني أفرادها ويرقصون ويمنحون البركة في المراحل المفصلية لدورة الحياة المتعلقة بالإنجاب - الولادة والزواج - لذلك تنطوي ثقافتهم التعبيرية على قدر كبير من الإيحاءات والرموز المتعلقة بالخصوبة باعتبارها وسائل لتجليات القوة الابتكارية للإلهة الأم. وبفضل هذا الأداء والفن الطقسي، يكتسب أفراد هذه الطائفة عيشهم ويمنحهم المجتمع حيزاً من المكانة المجتمعية. ويقوم أداؤهم على السخرية من سلوك الأنثى، والكثير من عناصره الهزلية يتأتى من التنافر بين سلوكهم المشين والسلوك العادي لامرأة محكومة بتقاليد الأدب واللياقة. فهم يستخدمون لغة وإيماءات فجة وخادشة للحياء وتلميحات جنسية ويعاكسون الأطفال الذكور ويسخرون من أفراد العائلة وعلاقاتها. ومن المشاهد التقليدية المشهودة تمثيل دور المرأة الحامل وإظهار المصاعب التي تلاقيها في كل مرحلة من مراحل الحمل.

1. Serena Nanda, Neither Man nor Woman: The Hijras of India, second edition (Belmont, CA: Wadsworth Publishing, 1999). See also: Nita Bhalla with Suchitra Mohanty and Sunil Kataria ‘Supreme Court recognises transgenders as third gender in landmark ruling,’ Times of India, 15 April 2014. [↑](#footnote-ref-1)